حول كتاب سيبويه

للدكتور عبد الجليل عبد الله
جامعة اليرموك ـ اربد

الذي لا خلاف عليه ، أن سيبويه لم يترك للمكتبة العربية من إنتاجه الفكري غير مصنف واحد هو الذي اشتهر باسم « الكتاب » ونال من الاهتمام والشهرة ما لم ينلها مصنف آخر لتفرده بما حوى ، وتميزه عن غيره مما صنف في موضوعه ، وأسماه الناس « قرآن النحو » (١) وصار جديرا بمقولة أبي عثمان المازني عنه : « من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي » (٢) .

ولا خلاف أيضا حول أهمية هذا الكتاب ، وجدارته بهذا الكم الهائل من الدراسات المتنوعة التي تناولته بالدرس وعالجت قضاياه بالشروح ، فذللت مسايره ، وصيرت فهمه وتيسيرته مرجعا رئيسا للعديد من الدراسات النحوية الجادة والبحوث اللغوية الرصينة .

ولكن أهمية هذا الكتاب ومكانته المرموقة ، لا تمنعنا من الاعتقاد بأنه لم يسلم من مر الايام من العبث ، وأن نقصا ـ لا نستطيع الآن تقديره ـ قد وقع فيه ، فأسقط أسماء عبارات نثرية كثيرة وشواهد شعرية أكثر ، وأضيفت اليه بدلا منها عبارات نثرية وشواهد شعرية أخرى ليست لها قوة الشواهد المُستَبعَدة وأهميتها ، بل إن النسخة المتداولة الآن بين أيدينا على الرغم مما قيل عنها من أنها : « أمس الطبعات وأنها » (٣) ، ليست مطابقة لنسخة الكتاب الاصلية ولا للنسخة المنقولة عنها ، وأن كتاب سيبويه كما كتبه بنفسه ، وكما خلّفه للعالم من بعده ما زال مجهولا عنا بعيدا عن متداول أيدينا . وحجتنا فيما ندعيه جملة حقائق هي :

أولاً :ـ ليس في مقدمة الكتاب ما يشير الى أنه بداية له ، وليس في نهايته ما يشير الى انتهائه ، فهو مبتور البداية والنهاية . وليس مقنعا أن يقال : إن هذا الكتاب

---

(١) مراتب النحويين ص ١٠٦ .

(٢) نزهة الالباء ص ٦٣ وقد نسب هذا القول في أنباه الرواة ٢/٣٤٠ للمبرد (٢) .

(٣) بروكلمان ٢/١٣٦ وفهرس شواهد سيبويه ص ٩ .

جاء مغايرا للمألوف من مصنفات ذلك العصر، مخالفا لمنهج التأليف الذي تعود الناس عليه آنذاك. إلا أن يقوم على ذلك دليل، وتنهض بيّنة.

ثانيا: إن الجمل والعبارات التي وردت في كثير من المصنفات التي اتّكأتْ على كتاب سيبويه أو رجعت اليه، لا تطابق بالموازنة نظائرها في النسخة التي بين أيدينا اليوم، فالاختلاف بين العبارات كان في أكثر الاحيان صريحا بحيث يؤكد أن النسخة التي اعتمدت عليها تلك المصادر أو رجعت اليها، ليست هي النسخة التي بين أيدينا الآن.

يضاف الى هذا أن بعض الحواشي والتعليقات التي كان يدونها دارسو الكتاب والمطلعون عليه، قد اختلطتْ مع متن الكتاب الاصلي حتى صار من العسير التمييز بينها، إلاّ ما تيسرت معرفته بالدليل الواضح والبيّنة الصريحة كما يبدو من قوله: «وزعم الخليل أن قولهم ظَرِيفٌ وظُرُوفٌ لم يكسَّر على ظَرِيف كما أن المذاكير لم تكسّر على ذَكَر. وقال أبو عمر: أقول في ظُرُوف هو جمع ظَرِوف كُسّر على غير بنائه وليس مثل مذاكير، والدليل على ذلك أنك إذا صغّرت قلت ظريّفة وظُرَيْف، ولا تقول ذلك في مذاكير» (١).

أما أبو عمر هذا، فهو أبو عمر الجرمي وقد نصّ على ذلك صراحة أبو سعيد السيرافي في شرحه الكتاب (٢). ولسنا نعتقد بعد هذا، أن تعليق الجرمي هو الوحيد الذي اختلط بمتن الكتاب، بل إن هناك تعليقات كثيرة غيره قد تسللت الى متن الكتاب وذابت في أحشائه، ولم يمنع من التعرف عليها أو الكشف عنها إلا عدم التصريح بأسماء معاقيبها.

ثالثا: تقول المصادر: إن أبا عمر الجرمي قال: «نظرت في كتاب سيبويه

---

(١) الكتاب (بولاق) ٢/٢٠٨، (هارون) ٣/٦٣٦-٦٣٧.

(٢) شرح كتاب سيبويه (مخطوط) ٣/٢٠٨.

فماذا فيه الف وخمسون بيتا ، فأما الالف فعرفت أسماء قائليها ، وأما الخمسون فلم أعرف قائليها » (١) .

وعلى الرغم من الاضطراب في رواية الخبر ، الا أن العدد في كل منها واحد . أي أن عدد الشواهد الشعرية في نسخة الجرمي من كتاب سيبويه — وهي التي أطلع عليها في عصر صاحبها — كان ألفا وخمسين بيتا من الشعر ، وهذا ما يدفعنا الى التسليم — الى حين — بأن العدد الصحيح للشواهد الشعرية في النسخة الاصلية لكتاب سيبويه هو الذي ذكره أبو عمر الجرمي .

ولكن ، كم عدد الشواهد الشعرية في نسخة الكتاب التي بين أيدينا ؟

يقول الاستاذ أحمد راتب النفاخ في مقدمة الفهرس الذي صنعه لكتاب سيبويه : « على أنني لا أستبعد أن يكون الاصل الذي نقل عنه الكتاب أتم أصوله في هذا الباب وذلك أن عدة الشواهد فيه ، وقد بلغت في احصائي ستمائة وأربعين بيتا وألف بيت بالغاء المكرر ، يقارب ما أثر عن الجرمي في تعداد شواهده في كلمته المشهورة » (٢) وهذا الرقم الذي ذكره الاستاذ النفاخ ينقص عن الرقم الذي أحصيته بعد تفريغ شواهد الكتاب شاهدا واحدا ، أي أن الرقمين متطابقان تقريبا ، وينقصان عما ذكره الجرمي في الخبر السابق شاهدين اثنين . ولا بأس في هذا ، فالفرق ضئيل ودلالته واهية .

ولكنني عثرت على عدد غير قليل من الشواهد الشعرية التي لم يشر المصنفات التي وردت فيها بأنها من أبيات الكتاب ، وقد كان ذلك سببا في الالتفات الى هذه النسبة أو الاطمئنان الى أقوال أصحاب المصادر التي أوردتها ، لو أن عدد هذه الشواهد كان قليلا ، أو لو أن هذه الشواهد جاءت في مصدر أو مصدرين ، ولكنها جاءت في مصادر مختلفة كان من جلها معتمدا ، ونصت في المقام الأول لخدمة كتاب سيبويه وشرح شواهده ومسائله

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٥ وخزانة الأدب ١/٨ ، ١٧ .

(٢) فهرس شواهد سيبويه ص ٩ .

أبيات نشق بهم ونطمئن الى أمانتهم العلمية . فما دلالة هذه النسبة ؟ وماذا تعني هذه الشواهد غير القليلة التي نسبت صراحة الى الكتاب وليست فيه ، الا أن تكون يد العبث قد امتدت الى هذا الكتاب فأضافت اليه وحذفت منه ونسبت الى صاحبه ما هو بريء منه .

فيما يلي أثبت بهذه الشواهد مع تعليقات أصحاب المصادر التي أوردتها .

١ ـ فَمَالِيَ إِلاَّ آلِ أَحْمَدَ شِيعَةٌ وَمَا لِيَ إِلاَّ مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ

ذكره ابن السيرافي في كتابه « شرح أبيات سيبويه » ١٣٣/٢ على أنه مما أنشده سيبويه في كتابه وقدمه بقوله : قال سيبويه في الاستثناء ، قال الكميت : فما لي الا آل .... الخ .

٢ ـ [illegible] فَأَذْهَبَ تَجْلِبَاً يَوْماً وأَكْفِكَ جَانِبَا

ذكره الزمخشري في « المفصل » ص (٢٥٥) وقدمه بقوله : وسأل سيبويه الخليل عن قوله تعالى : (١)

(رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) فقال : هذا كقول عمرو بن معديكرب : دعني فأذهب .... الخ .

وقد علق البغدادي (خزانة الأدب ٦٦٤/٣) على ما قاله الزمخشري قائلا : أقول : بيت معديكرب لم يورده سيبويه في كتابه البتة ، لا هنا ولا في موضع آخر .

٣ ـ يَبْكِيكَ نَاءٍ يَعِيدُ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ يَا لَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ٣٥٩) في باب الاستغاثة وقدمه بقوله : « فإذا استغثت باسمين أحدهما على الآخر كسرت لامَ المعطوف لأنّ حرف العطف أزال اللَّبْس وشركَ بين الاسمين فتقول : يا لَزَيْدٍ وَلِعَمْرٍو ، بكسر اللام من عمرو ، لما بيّنا وأنشد سيبويه : يبكيك ناء بعيد ... الخ .

---

(١) الآية ١٠ / المنافقون .

٤ ــ تَكَادُ أواليها تَفَرَّى جلُودُها وَيَكْتَحِلُ الشَّالِي بِنُورٍ وَحَاصِبِ

ذكره ابن جني في كتابه « المنصف » (٥٧/٢) وقدمه بقوله : وكان الخليل انما ذهب الى القلب في هذا لانه رآهم قلبوا نظيره مثلا لانه صحيح نحو قول الشاعر أنشده سيبويه : تكاد أواليها .. .

٥ ــ فَصَدَقْتُهُ وكَذَبْتُهُ وَالمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ٧٠٩) في باب « من أبنية المصادر » وقدمه بقوله :

وجاء على فعال ، قالوا : كذب كِذَاب ، وكتب كِتَاب . وأنشد سيبويه : فصدقته وكذبته ... الخ

٦ ــ أتيتُ مُهَاجِرِينَ فعلَّمُوني كَلَامَ المُسْلِمِينَ وَشَرَائِعَهُ
وَخَطُّوا لي أباجادٍ وقَالُوا تَعَلَّمْ صَعْفَصًا وَقُرَيْشَاتٍ

شرحهما الاعلم الشنتمري (تحصيل عين الذهب ٣٦/٢) على أنهما مما أنشده سيبويه في باب « تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الاسماء » .

٧ ــ صَفِيَّةَ قُومِي وَلَا تَعْجَزِي وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةَ

ذكره ابن رشيق في كتاب « العمدة » (١٤٨/١) وقدمه بقوله : زعم أن سيبويه أنشد فيما يجوز تقييده واطلاقه : صفية قومي ... الخ .

٨ ــ يَارَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ الحَجِيجَ
فَلَا يَزَالُ شَيْخُهُ يَأْتِيكَ بِجَ
أَقْصَرُ نَهَّالَاتٍ يُنَزِّي وَيُسْرِجَ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ٨٦٥ ــ ٨٦٦) في باب « ابدال الجيم » وقدمه بقوله :

وقد يبدلونها ــ أي الجيم ــ من الياء المخففة أيضا . أنشد سيبويه : يارب ان كنت ... الخ

٩ ـ مَرُّوا عجالى فقالوا كيف سيدكم فقال مَنْ سُئِلوا : أمسى لمجهودا

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٢/٣١٠) وعلق عليه بقوله : أقول هذا من أبيات الكتاب ولم ينسب فيه الى أحد .

١٠ ـ لأبيلتك أم تملك فقيتي بيدي صغار طارفاً وتليدا

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤/٣٨٥) وعلق عليه بقوله : أقول : أنشده سيبويه ولم ينسبه الى أحد .

١١ ـ فما سبق القيسيُّ من ضعف نخلة ولكنْ تلغتْ عملماء غرلةٌ قُنْبرِ

ذكره ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات الكتاب ٢/٣٧٠) والبغدادي في كتابه (خزانة الأدب ٣/١٩٦) وابن الشجري في كتابه (الامالي الشجرية ٢/٤) وابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد ٢/٤٨٧) وقدموه بقولهم : وأنشد سيبويه للفرزدق : فما سبق القيسي .... الخ

كما أشار الامام الشنتمري في كتابه (تحصيل عين الذهب ٢/٤٢٤) الى هذا الشاهد بقوله :

هذا آخر جملة ما اشتمل عليه الكتاب من الشواهد ، وفي بعض النسخ في آخر الكتاب عما يحمل عن المازني أنه الفاه مثبتا فيه قول الفرزدق : فما سبق القيسي ... الخ وقد ذكر الاستاذ عبد السلام هارون (الكتاب بتحقيقه ١/٢٦) ان هذا الشاهد وجد برواية : غرلة خالد بخط سيبويه نفسه عند رجل من بني هاشم يقال له عبد السلام بن جعفر .

١٢ ـ وغبراء يَعْيى لُقْمَةَ ما وِرَاءَها ولاَ يَخْتَبِطُهَا الدَّهرِ إلاّ مُخَابِلُ

ذكره ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات الكتاب ١/١١٤) وقدمه بقوله : قال سيبويه ، قال ذو الرمة : وغبراء يعيي ... الخ .

١٣ ـ فقلنا إسْلَموا إنّا أخوكم فقَدْ بَرِئتْ مِنَ الاحنِ الصُّدورُ

ذكره ابن الشجري في كتابه (الامالي الشجرية ٢/٢٧ ـ ٢٨) وقد سبقه بقوله : أما قول الآخر وهو من أبيات الكتاب : فقلنا أسلموا .... الخ

١٤ ـ لَمَّا رَأَيْتُ مِلْجَرَادِ عَازِرَا
أخَذْتُ كُرْزِي وَدَعَوْتُ عَامِرَا
لِكُلِّ عَيْسَاءَ تُمِرُّ النَّاقِرَا
يَخْرُجُ مِنْهَا ذَنَباً مُحَابِرَا
رِزْقٌ مِنَ الرَّزْقِ يَجِيءُ النَّاظِرَا
مَنْ ذَا رَأَى مِثْلَ الجَرَادِ طَائِرَا
سَرَّتْ وَضَرَّتْ بَادِيَاً وَحَاضِرَا

أوردها ابن الانباري في كتابه (المذكر والمؤنث ص ٥٥٢) وقدمها بقوله : قال أبو هنان :
أنشدني الجرمي عن سيبويه لاعرابي : لما رأيت ملجراد .... الخ .

١٥ ـ وَخَادَعَتْ الْمُنِيَّةُ عِنْكَ بِرَّا

أورده ابن سيده الاندلسي في كتابه (المخصص ٣/٨١) وقدمه بقوله : ومثال ما أنشده سيبويه : وخادعت المنية ... الخ .

١٦ ـ مَتَى تَرِدَنْ يَوْماً سَفَارِ تَجِدْ بِهَا أذِلَّةَ مَا فِي الْمُنْتَجِعْ النَّاسِ

أورده ابن هشام في كتابه (شرح شذور الذهب ص ٩٦) وقدمه بقوله : قال الشاعر : أنشده سيبويه : متى تردن يوما ... الخ .

١٧ ـ نَجَا سَالِمٌ والنَّفْسُ مِنْهُ مَشُوقَةٌ وَلَمْ يَنْجُ إلا جَفْنَ سَيْفٍ وَمِئْزَرَا

ورد في شرح أشعار الهذليين للسكري (ص ٥٥٨) ما نصه : بخط أبي الطيب أخي الشافعي قال سيبويه : كأنه قال : نجا ولم ينج ، كما تقول : تكلم ولم يتكلم ، اذا كان كلامه خفيفا ، ونصب « جفن سيف » على الاستثناء المنقطع . اهـ

ويشير هذا التعليق ــ كما هو واضح ــ الى أن هذا البيت وهو من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي هو أحد أبيات الكتاب ، ولذا علق محقق شرح أشعار الهذليين على هذا التعليق بقوله : لم أجده ــ يعني الشاهد ــ في الكتاب لسيبويه المطبوع ولعله ساقط منه .

١٨ ــ إنْ أمرءاً خَزَّه في الدُّنيا وَاحِدة بَعْدِي وبَعْدكَ في الدُّنيا لَمغْرورُ

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤٧٦/٢) وقدمه بقوله : أقول هذا البيت احتج به سيبويه ولم يعزه الى أحد .

١٩ ــ تَرَاه إذَا دَارَ العِشَا مُتَحَنِّفاً ويُضْحَى لَدَيهِ وهو نَصْرَانُ شَامِسُ

ذكره القرطبي في كتابه (الجامع لاحكام القرآن ٤٣٣/١) وقدمه بقوله : وقال الخليل : واحد النصارى نصري كمهري ومهارى . وأنشد سيبويه شاهدا على قوله : تراه اذا دار العشا .... الخ .

٢٠ ــ وقَيْسُ عَيلان ومَنْ تَقَيَّسا

ذكره السهيلي في كتابه (الروض الانف ٩٩/٢) وقدمه بقوله : وأنشد سيبويه : وقيس عيلان ... الخ

٢١ ــ تُعَلَّقُ في مِثْلِ السَّواري سُيُوفَنا وما بَيْنَها والكعبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

أورده الفخر الرازي في كتابه (التفسير الكبير ١٣٢/٣) وقدمه بقوله : وأنشد سيبويه : تعلق في مثل السواري ... الخ

٢٢ ــ لَواحِقُ الأقْرابِ فيها كَالمَقِقْ

ذكره ابن منظور في كتابه (لسان العرب « مثل » ١٣٢/١٤) وقدمه بقوله : ونظيره ما أنشده سيبويه : لواحق الاقراب ... الخ .

٢٣ــ أما واللهِ أنْ لَو كُنْتَ حُراً ومَا بِالحُرِّ أنْتَ ولا العَتِيقِ

أورده العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤/٤٠٦) وعلق عليه بقوله: أنشده سيبويه ولم يعزه الى أحد .

٢٤ــ فَتوضِحَ فالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رسمها لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

ذكره القرطبي في كتابه (الجامع لاحكام القرآن ٣/٢٢١) وقدمه بقوله: كما أنشد سيبويه :

فتوضح فالمقراة ... الخ .

٢٥ــ عَجَائِبُ تُبْدِي الشَّيْبَ فِي ذَلَّةِ الطِّفْلِ

أورده الصغاني في كتابه (الذيل والتكملة والصلة ٥/٤٢٤) وقدمه بقوله: وقال الجوهري :

وأنشد سيبويه : عجائب تبدي الشيب ... الخ . وقد علق الصغاني على هذا الشاهد بقوله :

ولم أجده في أبيات سيبويه .

٢٦ــ حَلفتُ لها باللهِ حِلفةَ فَاجِرٍ لَناموا فَمَا إنْ مِنْ حَدِيثٍ ولا صَالِ

أورده الشنقيطي في كتابه (الدرر اللوامع ١/٩٦) وعلق عليه بقوله: واستشهد سيبويه والرضي بهذا البيت ... الخ .

٢٧ــ بَيْنَما نَحنُ بالكَثِيبِ ضُحًى إذْ أتَتْنِي وأهلُها بِسَلِيمَى

أورده المرزوقي في كتابه (شرح حماسة أبي تمام ص ١٧٨٤) وقدمه بقوله: واستشهد سيبويه بقوله: بينما نحن بالكثيب ... الخ .

٢٨ــ فَمَا أصْبَحَتْ عالأرْضِ نَفْسٌ فَقِيرَةٌ وَلا غَنِيُهَا إلا سَتُلْفَى سَبِيلُهَا

أورده ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات سيبويه ٢/٣٤٣ــ٣٤٤) وقدمه بقوله : قال سيبويه في باب ما جاء شاذا فخففوه على ألسنتهم : ومن الشاذ فيهم في بني العنبر وبني الحارث :

بالحارث و بالعنبر يعادلهم بنو فلان ، قال الفرزدق : فما أصبحت عالأرض ... الخ . ثم علق ابن السيرافي على هذا الشاهد بقوله : « هذا البيت يقع في بعض النسخ ، وفي بعضها لا يقع » .

٣٠ــ لِهَنَّكَ مِنْ عَبْسِيَّةٍ لَوَسِيمَةٌ عَلَى هَنَواتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا

ذكره ابن فارس في كتابه (اللامات ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق جـ ٤ المجلد الثامن والأربعون ص ٧٧٣) وقدمه بقوله : وأنشد سيبويه : لهنك من عبسية ... الخ .

٣١ــ تَرَاهُ مُقَذَّ قَاتِ الرِّمَاةَ كَأَنَّهُ أَمَامَ الكِلَابِ مُصْغِيُ الخد أَصْلَمُ

أورده ابن الدهان في كتابه (المرتجل ص ٤٠) في فصل الاسم المعرب المفرد معلق عليه بقوله : هكذا أنشده صاحب الكتاب بالرفع .

٣٢ــ كَيْ تَجْنَحُونَ إِلَى سِلْمٍ وَمَا ثُئِرَتْ قَتْلَاكُمُ وَلَظَى الهَيْجَاءِ تَضْطَرِمُ

أورده كل من العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤/٣٧٨) والسيوطي في كتابه (شرح شواهد المغني ص ١٧٢) وعلقا عليه بقولهما : هو من أبيات الكتاب ولم يعز الى قائل .

٣٣ــ لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْثَمِ
يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْسِمِ

أوردهما البغدادي في كتابه (خزانة الأدب ٢/٣١١) وعلق عليهما بقوله : ... من رجز لحكم بن معية الربعي ... نسبه سيبويه في موضع آخر من كتابه .

و يفيد كلام البغدادي هذا أن سيبو يه قد استشهد بهذا الرجز مرتين في كتابه فصرح بنسبته في الاولى وأغفلها في الثانية . فاذا عدنا الى نسخة الكتاب التي بين أيدينا ، وجدنا أن سيبو يه لم يستشهد بهذا الرجز الا مرة واحدة من غير نسبة . (الكتاب ١/٣٧٥) .

٣٤ ـ أشاقتْكَ أظْعانٌ بحفرِ أبَنْبَمِ نَعَم بُكُراً مِثْلَ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ

أورده ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان . رسم « أبنبم ») وقدمه بقوله : وأنشد سيبو يه لطفيل الغنوي : أشاقتك أظعان ... الخ

٣٥ ـ ..... وإنّ مِنَ شَعْرِيهِ ـ فَتْلِيَ يا ثُرَيّا

ذكره الاعلم الشنتمري في كتابه (تحصيل عين الذهب ٢/٤٧٢) وقدمه بقوله : وأنشد من بعده قول النمر : وان من خريف ... الخ .

٣٦ ـ وَأتَى صَوَاحِبُها فَقُلْنَ هَذَا الَّذِي مَنَعَ المَوَدَّةَ غَيْرَنَا وَتَبَسَّمَا

أورده الصيمري في كتابه (التبصرة والتذكرة ص ٨٠٨) في باب ابدال الهاء وقدمه بقوله :

وأنشد سيبو يه : وأتى صواحبها . الخ .

٣٧ ـ عَجِبَ النَّاسُ وَقَالوا : مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدَقْ

إنَّمَا شِعْرَى قِطْعَةٌ قَدْ تُخَايِطُ بِالسِّيَاطِ

أوردهما ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه (العقد الفريد ٥/٣٠٧) وقدمهما بقوله : ومن قولهم في تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبو يه في كتابه : عجب الناس ... الخ .

٣٨ ـ إذا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ فُرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الثَّنِيَّةِ فَالْغَمْرِ

أورده ابن منظور في كتابه (لسان العرب « فقد » ٣٣٤/٤) وعلق عليه بقوله : قال ابن سيده :

هكذا أنشده سيبويه بتقديم خطياء على فرخين .

٣٩ ـ إذا ما تَرَعْرَعَ فِيهِمُ الغُلامُ فَسَمَّا إنْ يُقَالَ لَه مَنْ هُوَهْ

أورده ابن يعيش في كتابه (شرح المفصل ٨٤/٩) وقدمه بقوله : وأما « هو » من الأسماء المضمرة فإن الأكثر الوقف عليها بالهاء لبيان حركة الواو ، وكذلك الوقف على « هي » تقول : هيه ولا تحذف منه شيئا كما تحذف من المتمكن ، قال الشاعر أنشده سيبويه : اذا ما ترعرع ... الخ .

٤٠ ـ لا يَنْفَعُ الشَّاوِي فِيهَا شَاتُه

أورده ابن جني في كتابه (التمام في تفسير أشعار هذيل ص ٦٥) وقدمه بقوله : ومما جاء في الكتاب : لا ينفع الشاوي ... الخ .

٤١ ـ فقال أراها يحسر الآلَ مَرَّةً فَتَبْدُو وأُخْرَى يَكْتَسِي الآلُ دونُها

أورده ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات سيبويه ١٠٧/١) وقدمه بقوله : قال سيبويه في الظروف : وقد يكون في دونها الرفع ، يريد أنه يجوز فيه التمكن ، ويقع بعد هذا في الكتاب بيتان ، وقيل أنهما ليسا من الكتاب أنشد بعد بيت ذي الرمة : فقال أراها يحسر ... الخ .

٤٢ ـ فأشهدُ عند الله أنْ قَدْ رَأَيْتُها وعشرونَ مِنْها إصْبَعاً مِنْ وَرَائِيا

أورده ابن يعيش في كتابه (شرح المفصل ١٣٠/٤) وقدمه بقوله : وأنشد سيبويه لعبد بني الحسحاس : فأشهد عند الله ... الخ .

ويقول أبو جعفر النحاس : (١) « جملة أبيات كتاب سيبويه مما جمعه من

---

(١) أبو جعفر ... ٢٢٠

الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء و يونس بن حبيب وأبي الخطاب وغيرهم ، ألف وخمسون بيتا منها خمسون غير منسوبة ، مأربن في شرح معانيها وحل مشكلاتها ولا أدخل بينهم من اعرابها » .

فاذا نحن أحصينا مجموع ما أورده النحاس في كتابه من الشواهد الشعرية ، بعد اسقاط المكرر ، لوجدناها (٧٠٦) شواهد ، ويبقى من بينها (٦٨) شاهدا غير موجودة في كتاب سيبويه .

وقد نتفق مع محقق الكتاب في قوله : (١) « وأما غير الخليل أو أبي الخطاب الابيات غير الموجودة في كتاب سيبويه مما استشهد به النحاس لتوضيح قضية أو تبيين مشكلة » فقد نص النحاس نفسه على ذلك صراحة عندما علق بعض هذه الأبيات رواية عن أبي علي قطرب (٢) (ت ٢٠٦ هـ) وهو أحد تلاميذ سيبويه ، ولكن أنى لنا أن نتفق معه في بعضها الآخر وقد صدرها بالقول : أنشدني الخليل أو أنشدني الخليل و يونس (٣) ونحن نعرف أن هذه العبارات هي عبارات سيبويه في كتابه ، وان معظم ما يرويه سيبويه في كتابه كان عن الخليل بن أحمد و يونس بن حبيب .

و يبدو مقبولا أن نعد الأبيات التي جاءت في ثنايا الباب ، أو التي أوردها النحاس لتوضيح القضايا وتبيين المشكلة ، ولكن ما موقفنا من الأبيات التي افتتح النحاس بها بعض أبواب كتابه هذا ؟ ألا يعني أن يفتتح الرجل الباب من كتابه بشاهد شعري أن هذا الشاهد هو من أبيات سيبويه التي سيكثر الحديث عنها ، والتي سيقوم بشرح معانيها وحل مشكلاتها كما وعد ؟

سوف نفترض أن معظم هذه الأبيات ـ ومنها التي قام الدليل عليها ـ مما استشهد به النحاس لتوضيح مشكل أبيات سيبويه فنستبعدها ، ولكن

---

(١) شرح أبيات سيبويه للنحاس ص ١٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٧ ، ٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٦١ ، ٦٨ .

: مشهما الآخر لا يمكن الا أن يكون من أبيات الكتاب التي شرحها النحاس فالسلطان والسفل يقولان هذا والأدلة تنهض دليلا على اثباته ، أما هذه الأبيات فهي :

٤٣ ـ فلا لغوَ ولا تأثيمَ فيها ومَا فَاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقيمُ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦١) باب « النفي والجحود » وقدمه بقوله :

تقول : لا مالَ ولا مالَ لك اذا فتحت ذهبت به مذهب النفي وصيرت شيئين شيئا واحدا ، « لا » و « الاسم » ففتحت من غير تنوين ، وأما الرفع فعلى معنى قولك : ليس مالٌ لك ، أنشدني الخليل : فلا لغو ولا تأثيم .... الخ .

٤٤ ـ تعدون عقرَ النيبِ أفضلَ مجدكم بَني ضَوطرَى لولا الكميَّ المُقنَّعا

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٨٧) باب « يختار فيه النصب وليس قبله منعوت » .

٤٥ ـ إن الحَرِيَّ والقومَ الذين أنَا منهم لاهَلُ مَقَامَاتٍ وشَاءٍ وجَامِلِ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦٨) باب « الحروف التي تكون مخففة في معنى مشددة » وقدمه بقوله : من ذلك : إنْ زيداً قائمٌ ، فـ « إنْ » مخففة في معنى مشددة . قال : أنشدني الخليل بن أحمد : ان الحي والقوم ... الخ .

٤٦ ـ فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حولَه فأعْمَى وأمَا لَيْلُهُ فَبَصيرُ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦١) وقدمه بقوله : وأنشدني الخليل ويونس في لغة الحجازيين والغوريين تهامة : وأغور من نبهان ... الخ .

٤٧ ـ بانت سُعادُ فأخلفتْ أملي كمَا أخلفَ السرارُ منَ الهلالِ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٤٨) باب «ما يجوز فيه من المضاف مرة ان شئت وان شئت من المضاف اليه» .

فاذا نحن أضفنا هذه الشواهد الى ما قيل إنها بلغت في كتاب سيبويه في أوثق نسخه وأتمها ، لأصبح مجموع شواهد الكتاب الشعرية (١٠٦٧) شاهدا . ونكون حينئذ أمام واحد من هذه الاحتمالات الثلاثة :

الأول : إن هذه الشواهد الشعرية الجديدة هي جزء من شواهد الكتاب ، فيكون مجموع شواهد الكتاب الشعرية (١٠٦٧) شاهدا ، ويكون عندنا الاعتقاد بأن نسخة الكتاب التي بين أيدينا تنقص كثيرا عن النسخة الام ولا تتطابق معها ، و يكون كلام الجرمي لا أساس له من الصحة .

الثاني : ان أصحاب المصادر والمراجع التي ذكرت هذه الشواهد ، وأدعت بأنها من أبيات الكتاب ـ وكلهم ثقات أفاضل ـ غلطوا بيقين ، يتقولون على الكتاب وصاحبه ، و ينسبون اليه ما ليس منه ، وهذا ما يزعزع الثقة بهؤلاء الاعلام و يطعن في أمانتهم العلمية .

الثالث : ان الرقم الذي ذكره أبو عمر الجرمي لشواهد الكتاب الشعرية هو الرقم الصحيح ، وان هذه الشواهد التي عثرنا عليها كانت أصلا من شواهد الكتاب الشعرية ولكنها اندثرت مع الأيام وحلت محلها شواهد جديدة . وهذا أيضا ما يقوي الاعتقاد الذي انتهينا اليه من أن هذه النسخة التي بين أيدينا اليوم من كتاب سيبويه تنقص كثيرا ، وأنها ليست مطابقة للنسخة الام ولا للنسخة المتداولة قديما .

واذا كانت هذه حال النسخة التي بين أيدينا من الكتاب ، فانها ليست أفضل حالا من نُسخ السلف منه ، فقد أدركوا هم أيضا مثلنا أن زيادات قد وقعت في الكتاب ، وأن بعض شواهده الشعرية ليست كما رواه سيبويه من

شروحه سابقه في كتابه فأشاروا الى ذلك ونصوا عليه ، ومع أن أكثر هذه الشواهد ليست مما في النسخة التي بين أيدينا ، الا أن للأمر دلالته التي لا تخفى .

ويُعَدُّ كتاب شرح شواهد الكتاب للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) ، وهو الذي أسماه « تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب » من أوفى المصنفات التي خدمت كتاب سيبويه وتتبعت شواهده بالشرح والايضاح ، على الرغم من أن الاعلم الشنتمري ـــ كغيره من شراح شواهد الكتاب ـــ قد أغفل عدداً ليس قليلا من هذه الشواهد فلم يتعرض لها ، ولم يوردها في كتابه .

واذا كان هذا الأمر مما يؤخذ عليه وقد وعد في بداية كتابه أن يتتبع هذه الشواهد على رتبة وقوعها في الكتاب ، الا أن مما يحمد له أنه نبّه الى ما وجده من اخلال الكتاب من هذه الشواهد وصرح بأسماء الذين أقحموها .

وفيما يلي نُثبت بهذه الشواهد التي كانت مثبتة في النسخة التي كانت متداولة زمن الاعلم من الكتاب وجملة تعليقاته عليها :

ـــ فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَه قَالَ قَائِلٌ : لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نَجِيبُ

أورده الاعلم في كتابه (١٤/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الاخفش في الباب قول المجير السلولي : فبيناه يشرى رحله ... الخ .

ـــ وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلا مُمَلَّكا أبُـو أمِّـهِ حَـيٌّ أبُـوهُ يُـقَـارِبُـهْ

أورده الاعلم في كتابه (١٤/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الاخفش أيضا في الباب قول الفرزدق : وما مثله في الناس ... الخ .

ـــ أتَهْجُرُ لَيْلَى بالفِراقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نفساً بالفِراقِ تَطِيبُ

أورده الاعلم في كتابه (١٠٨/١) وقدمه بقوله : ومما أنشد المازني في الباب [illegible] أتهجر ليلى بالفراق ... الخ .

ـ أَلَمْ يَأتِيكَ والأنْبَاء تَنْمِي بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

أورد الاعلم في كتابه (١٥/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الاخفش في الباب لقيس بن زهير:
ألم يأتيك والأنباء ... الخ .

ـ فَزَجَجْتُهَا بِمَزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ

أورده الاعلم في كتابه (٨٨/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الاخفش في الباب : فزججتها بمزجة ... الخ .

أَرْمِي عَلَيْهَا وَهْيَ فَرْعُ أَجْمَعُ
وَهْيَ ثَلاثُ أَذْرُعٍ وإِصْبَعُ

أورده الاعلم في كتابه (٣٠٨/٢) وقدمه بقوله : ومما أنشده الفراء في الباب : أرمي عليها ... الخ

ـ ثَأَرْنَا بِهَا قَتْلَى وَمَا فِي دِمَائِهَا وَفَاءٌ وَفَرَّ الشَّاءَ رَاثُ الضَّرَائِمُ

أورده الاعلم في كتابه (٩٤/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الزجاج في الباب عن المبرد للفرزدق : ثأرنا بها قتلى ... الخ

ولا أظن بعد هذا أن الجانب النثري في كتاب سيبويه أقل منالة من الجانب الشعري ، فكما تمثلت شواهد الشعر الى هذا الكتاب أو ذاك ... فلا بد أن جملا كثيرة وعبارات أكثر قد أنتقلت أو أضيفت اليه . ومعذرة الى آخر من الكتاب عسى أن نتابعه في المستقبل باذن الله .

الدكتور: سمير جميل حداد

مصادر البحث ومراجعه :

ـ الأمالي الشجرية لابن الشجري ، حيدر أباد ١٣٤٩ هـ .

ـ انباه الرواة للقفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ ـ ١٩٧٣ .

ـ بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، ترجمة : الدكتور عبد الحليم النجار ، ط ٢ القاهرة ١٩٥٩ م .

ـ التعليقة والتذكرة للصيمري ، تحقيق : الدكتور فتحي أحمد مصطفى ، منشورات جامعة أم القرى ١٩٨٢ م .

ـ تهذيب إصلاح ابن السكيت من معدن جوهر الأدب للأعلم الشنتمري ، مطبوع بهامش كتاب سيبويه بولاق ١٣١٧ هـ .

ـ التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني ، تحقيق : أحمد ناجي القيسي وآخرين ، بغداد ١٩٦٢ م .

ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكتب المصرية ١٩٢٣ ـ ١٩٤٩ م . (طبعة مصورة) .

ـ خزانة الأدب للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩ هـ .

ـ الدرر اللوامع للشنقيطي ، مطبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٢٨ هـ (طبعة مصورة) .

ـ الذيل والتكملة والصلة للصغاني ، تحقيق : عبد الحليم الطحاوي وآخرين ، دار الكتب المصرية ١٩٧٠ ـ ١٩٧٧ م .

ـ الروض الأنف للسهيلي ، نشر : عبد الرؤوف طه سعد ، القاهرة ١٩٧٣ م .

ـ شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ، تحقيق : الدكتور محمد علي الريح ، القاهرة ١٩٧٤ م .

ـ شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : زهير غازي زاهد ، بغداد ١٩٧٤ م .

ـــ شرح أشعار الهذليين للسكري ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ، الدار العربية للتاريخ .
ـــ شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي ، تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥١ ـــ ١٩٥٣ م .
ـــ شرح شذور الذهب لابن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (طبعة مصورة) .
ـــ شرح المفصل لابن يعيش ، مطبعة المنيرية بالقاهرة بلا تاريخ .
ـــ طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ م .
ـــ العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٥٥ م .
ـــ العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق : أحمد أمين وآخرين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٠ ـــ ١٩٦٨ م .
ـــ فهرس شواهد سيبويه ، صنعة : أحمد راتب النفاخ ، بيروت ١٩٧٠ م .
ـــ الكتاب لسيبويه بولاق ١٣١٦ هـ .
ـــ الكتاب لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (طبعة مصورة) .
ـــ اللامات لاحمد بن فارس ، تحقيق : شاكر الفحام ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ العدد ٤٨ لسنة ١٩٧٣ .
ـــ لسان العرب لابن منظور ، بولاق ١٣٠٠ ـــ ١٣٠٧ هـ .
ـــ المخصص لابن سيدة الاندلسي ، بولاق ١٣١٦ ـــ ١٣٢١ هـ ، (طبعة مصورة) .
ـــ المذكر والمؤنث لابن الانباري ، تحقيق : الدكتور طارق الجنابي ، بغداد ١٩٧٨ م .
ـــ مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٥ م .

ـ الرحل لابن للشاب ، تحقيق : علي حيدر ، دمشق ١٩٧٢ م .
ـ معجم الادباء لياقوت الحموي ، دار صادر ببيروت (طبعة مصورة) .
ـ المفصل الزمخشري ، ط ٢ ، دار الجيل ببيروت (طبعة مصورة) .
ـ المقاصد النحوية للعيني ، مطبوع على هامش خزانة الادب للبغدادي .
ـ المنصف في شرح تصريف المازني لابن جني ، تحقيق : ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٠ م .
ـ نزهة الالباء لابن الانباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ م .